

بسم الله الرحمن الرحيم

" الندوة العلمية "ثورة التحرير والهوية الوطنية" تقديم الدكتور عبد الجليل قريان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين

السيد مدير جامعة الامير عبد القادر

السادة نواب مدير الجامعة

السيد عميد كلية الحضارة والعلوم الانسانية

السيد نائب العميد

السادة رؤساء الاقسام التاريخ والادب والتركية

السادة الاساتذة الافاضل

السادة اطارات خلية الاعلام بالجامعة

طلبتنا الاعزاء

الحضور الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنه لمن دواعي السرور والغبطة والفخر والاعتزاز أن تكون باكورة النشاطات العلمية لمخبر الدراسات الأدبية والإنسانية لهذه السنة الجامعية 1444-1445هـ / 2022 - 2023 هذه الندوة العلمية بمناسبة ستينية الاستقلال الوطني، وبمناسبة الذكرى الثامنة والستين لاندلاع ثورة التحرير المجيدة، في ظل استمرارية المخبر في أداء مهامه العلمية في التأسيس والتكوين والبحث والانتاج العلمي وفي رحاب هذه الذكرى المزدوجة الكريمة نترحم على شهدائنا الابطال الذين ضحوا بمهجهم، وخطوا لنا تاريخ الجزائر بأحرف من نور، ورسموا مستقبل الجزائر بدمائهم الزكية الطاهرة، لتعيش أمتنا

الجزائرية في كنف الاستقلال التام بمهويتها الكاملة في العزة والكرامة والإباء، فالجد والخلود لشهادتنا الأبرار ومجاهدينا البواسل الأبطال، وجعلهم الله في المقام الأسنى وفي الفردوس الأعلى.

الندوة العلمية الموسومة بـ "ثورة التحرير والهوية الوطنية"

التعريف: رغم ما حققته ثورة التحرير المباركة من إنجازات عظيمة في طرد الاحتلال الفرنسي وتحقيق الاستقلال الوطني، وفي استعادة معالم الدولة الجزائرية ورموزها، وما أحدثته من تحول عميق في الشخصية الجزائرية وترسيخ انتمائها بأصولها الحضارية الدينية واللغوية، فإن بعض الطروحات التي تُبثُّ في نطاقات مختلفة، يكتنفها الريب والشك فيما حققته ثورة التحرير في مجال الهوية الوطنية. وتأتي هذه الندوة في إطار تأكيد محورية ثورة التحرير في ترسيخ عناصر الهوية الوطنية وتنويع الرؤى والنقاش وفق قواعد البحث الأكاديمي.

الإشكالية: الإشكال الذي تروم هذه الندوة معالجته هو البحث في العلاقة العضوية بين ثورة التحرير وعناصر الهوية الوطنية.

أهداف الندوة: دراسة البعد الهوياتي لثورة التحرير الجزائرية بمقاربات متجددة.

محاور الندوة:

المحور الأول: الاطار المفاهيمي لعناصر الهوية الجزائرية.

المحور الثاني: الهوية الوطنية من خلال نصوص ثورة التحرير

المحور الثالث: الدين واللغة في توجهات ثورة التحرير

المحور الرابع: الوحدة الوطنية من منظور ثورة التحرير

اسمحوا لي بداية أن أشير إلى مدخل أراه لازما في توضيح معالم ندوتنا.

إن الهوية في إطارها العام هي مجموعة القناعات التي تترسخ في ذهنية المجتمع وتصبح جزءا من

كيانه وفلسفته وشعوره وانتمائه، ويمكن تصنيفها إلى قسمين:

-الهوية المشتركة أو العامة بين البشر، وهي تلك التي تشترك فيها الإنسانية عامة كنوع من

مخلوقات الله، واعتباره من جنس ابن آدم، وأنه مدني بطبعه.

- والهوية الخاصة بكل مجموعة بشرية، والتي تحددها العناصر التالية(هذه العناصر قد تزيد أو تنقص. وتتسع أو تضيق): المعتقد(الدين) أو الإيديولوجيا، واللغة، والتاريخ، والجغرافيا، وكل ذلك يتحدد في الفضاء الحضاري التي تصنعه هذه العناصر.

والسؤال المطروح:- ماهي العلاقة بين الهويات المختلفة؟

-في الحقيقة ونظرا لتنوع علاقة الإنسان بالدين واللغة والتاريخ والجغرافيا فإن الهويات المختلفة التي تؤسسها يمكنها أن تتعايش وأن تتفاعل وفقا لمحددات كل هوية.

أما في الواقع فإننا رصدنا تدافعا خفيا حيناً وجلياً أحيانا بين الهويات فيما يمكن تسميته "صراع الهويات"، وهذا الصراع له مستويات متزايدة من حيث الشدة، تبدأ من التعايش القلق وتصل إلى حد المواجهة، وتتحدد مستويات الصراع بنوع الايديولوجيا (العقيدة) التي تتحكم في هذه الهويات، فإذا كانت العقيدة متفتحة على الآخر متقبلة له أمكنها التعايش والتفاهم مع غيرها من الهويات الأخرى، أما إذا كانت الايديولوجيا منغلقة لا تسمح بالتقارب أو التعايش، أو ذات طابع عنصري أو تصادمي، ولا تقبل من غيرها سوى الذوبان في هويتها، وتعمل على إزاحة الهويات المخالفة لها أو محاربتها ومحوها بشتى الطرق والوسائل، فإنها تؤجج العدوانية والتصادم، وهذا ما نراه في الأغلب الأعم فيما قامت به وتقوم به الاستعمارات المختلفة، ورغم تعدد دوافعها إلا أن عمليات الاكتساح ترافقها لزوما محاولات تغيير الهويات أو محوها.

والسؤال الثاني المرافق هو: هل يمكن تغيير الهويات ؟ الجواب الاستباقي: نعم، عندما تتغير القناعات وتتغير المفاهيم وترسخ بمرور الزمن لتحل كهوية جديدة محل الهوية السابقة، وقد يتطلب ذلك مدة زمنية معتبرة، عقوداً أو أجيالاً حتى تتغير هذه القناعات والمفاهيم، وذلك يختلف من عنصر إلى آخر ومدى تجذره في المجتمع وقدرة المجتمع على المحافظة عليه، ويأتي على رأس هذه العناصر العقيدة او الإيديولوجيات فإذا تغيرت العقيدة تغيرت معها الهوية. والشعور بالانتماء للهوية يتبلور من خلال العقيدة بالأساس ثم من خلال اللغة والتاريخ والجغرافيا.

بالنسبة لفرنسا فإنها منذ اللحظة الأولى التي وطئت فيها أقدامها أرض الجزائر الطاهرة بدأت في تحقيق مشروعها الاستعماري حيث بدأت بإجراءات تهدف إلى محاربة عناصر الهوية الوطنية فيما يمكن تسميته بإجراءات الهيمنة الضامنة التي توفر له السيطرة الكاملة والناتمة على البلاد أرضا وشعبا ، واستخدمت في ذلك كل الاجراءات التي تضمن له على المدى المتوسط والبعيد من بتر الامة الجزائرية عن هويتها وعن فضائها العربي الاسلامي وإلحاقها بالهوية الفرنسية في الفضاء الغربي المسيحي، وقد شنت مجموعة من التدابير العسكرية ، كما شنت ترسانة من القوانين التي اعتقدت أنها تسهل لها عملية تغيير هوية الشعب الجزائري وتعلق بالدين الاسلامي واللغة العربية والتاريخ، في مسار يمر بثلاث مراحل: أولا - تآكل الهوية او تجفيف منابعها بحرق المكتبات التي كانت تعج بالمخطوطات وسرقة الكثير منها ونهبه إلى مكتبات فرنسا وأوروبا وبتهديم المساجد ووضع اليد على الاوقاف..-ثانيا: تجريف الهوية بمحاربة العلماء والحد من حركيتهم في الداخل والدفع بهم إلى الهجرة نحو الخارج، ومنع ابناء الشعب الجزائري من التعليم وفرض سياسة التجهيل -ثالثا: تجريف الهوية بمحاولة احوال الدين المسيحي بديلا عن الدين الاسلامي والإجراءات التي اعقبته، ثم القوانين المجرمة لتعليم اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية ، وتحويل التاريخ بما يتناسب مع المشروع الاستعماري واعتبار الغزو الفرنسي إنما جاء لتحضير الشعب، وان اصول الشعب الجزائري ضاربة في اوروبا، وان الجزائر قطعة من فرنسا.

وكل هذه الاجراءات وظفتها المدرسة الاستعمارية من أجل تحقيق مشروعها عن طريق دفعات من العساكر ومن القساوسة والمستشرقين بمختلف تخصصاتهم في التاريخ والجغرافيا والانثروبولوجيا والاجتماع وكل يحاول ان ينهش في هوية الجزائر من زاويته، وكلهم يدرك ويعي قول جورج بومبيدو: "لو وضعنا في قدر واحدة رأسين أحدهما جزائري مسلم والأخر فرنسي مسيحي وطبخ مائة عام، فإننا نتحصل على نوعين من المرق" وواضح أن الرجل كان يعني بان الهوية اساسها الدين والعناصر الاخرى ثانوية .

أما الشعب الجزائري فبعد وقع الصدمة، بدأ سلسلة من المقاومات والجهاد العسكري والعلمي في ظروف صعبة وغير متكافئة، غير أنه استطاع رغم قسوة الاستعمار ان يسرب ملامح الهوية الدينية

واللغوية التي اصبحت بتشوهات عميقة إلى الاجيال اللاحقة في المداشر والشعب وتحت الشموع وفي حكاية الاجداد والجدات وأن يحافظ على هويته في حدودها الدنيا .

ورغم أن فرنسا أفلحت نسبيا في القرن التاسع عشر في تحقيق مشروعها في الظاهر واستطاعت أن تؤثر في هوية بعض الأسر والنخب، إلا أن رياح القرن العشرين كانت قد أنعشت عناصر الهوية الوطنية بما قدمته الحركة الوطنية أحزابا وحركة إصلاحية من بسالة في ترميمها واستعادة الوعي بها.

إلى أن جاءت ثورة التحرير المباركة كخلاصة لكل جهود الأمة السابقة واستطاعت في ظروف ثقافية محلية استثنائية وفي ظروف سياسية عالمية دقيقة أن تحدث منعطفًا في تاريخ الجزائر وفي تاريخ فرنسا، فبعد أن كان هدف الفرنسيين الاحتفال بالمئوية الثانية بعد احتفالهم بالمئوية الأولى قرر الشعب الجزائري ومن خلال ثورة التحرير المباركة بأن يقوض حلم فرنسا ويتحرر من احتلالها ويفتك استقلاله واسترجاعه للسيادة الوطنية وها نحن اليوم والحمد لله بفضل هذه الثورة المباركة بستينية الاستقلال وبحول الله بمئوية الاستقلال، وبمئويات الانجازات المستقبلية،

وقد أشار شاعر الثورة مفدي زكريا إلى أهم عنصر في الهوية الوطنية أو عمق هوية ثورة التحرير بقوله:

- شربت العقيدة حتى الثمالة *** فأسلمت وجهي لربّ الجلاله

ولولا الوفاء لإسلامنا *** لما قرّر الشعب يوما مآله

ولولا استقامة أخلاقنا *** لما أخلص الشعب يوما نضاله

ولولا تحالفُ شعبٍ وربِّ *** لما حقق الرب يوما سؤاله

هو الدين يغمر أرواحنا *** بنور اليقين ويرسي عداله

إذا الشعب أخلف عهد الإله *** وخان العقيدة فارقب زواله

إن أعظم ما حققته هذه الثورة المباركة هي اعتناق الشعب الجزائري من شعور اليأس والإحباط، وتحطيم طوق الهزائم النفسية إلى رحابة الثقة الكاملة والاعتماد على النفس والقدرة على الفعل والتحدي

والانجاز وتجاوز كل الصعاب، بمعنويات عالية وكل ذلك بعد استعادة الشعور بذاته وعناصر هويته الاساسية.

-نحن نعيش والحمد لله في ذكرى ستينية الاستقلال في جزائرننا في حدودنا الجغرافية الكاملة، وأمتنا تقيم شعائر الدين وشريعته في كل مكان من ربوع بلادنا الطاهرة، ولغتنا العربية ممتدة في اجيال المنظومة التربوية والجامعة وفي مختلف التخصصات وبالنسبة للتاريخ نحن ندرس تاريخنا ونصنع تاريخنا من أقلام علمائنا ومؤرخينا.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول: إن كل ما نحن فيه اليوم من التمتع بممارسة هويتنا والاعتزاز بها دون خوف ولا وجل إنما هو ثمرة من ثمرات ثورة التحرير المباركة، وكما يقال النتائج بخواتيمها فنحن نعيش الان وكل عناصر هويتنا قد استرجعت لنا بعد الاستقلال، وإذا كانت هناك من نقائص نتاب بعض عناصر الهوية أو بعض الالغام التي زرعت فيها، وسُرِّبت إليها، فعلى أجيالنا أجيال الاستقلال ان تُطَهِّر هذه العناصر مما علقَ بها من أدران الاستعمار حتى تكون خالصة للأمة الجزائرية. وتبقى ثورة التحرير ملهمة الامة الجزائرية في المحافظة على هويتها وتأكيدھا بالجد والاجتهاد في مختلف ميادين الحياة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

